مهمة في الظلام

مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل ...مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل ...مكتبة الطفل ١٥ سلسلة قادسية صدام



الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال



الناشر : دار ثقافة الاطفال ـ ص. ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة داخل العراق ١٥٠ فلساً عراقياً
وخارج العراق ٣٥٠ فلساً

دار الحرية للطباعة . بغداد

ادب الحرب المصور للاطفال

حكايات من الحرب العراقية الايرانية

(١٩٨٠ - ١٩٨٨) م

مكتبة الطفل
دار ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

مُهِمَّةٌ في الظَّلام



تأليف : جبّار حسين

رسوم : ضياء الحجار

سلسلة قادسية صدام

((إنّكمْ أبناء علي والحسين .. وأبناء الفاروق .. وأحفاد صلاح الدّين الأيّوبي .. ويقيناً بالله ورسالته وقِيَمِهِ أنَّ سيوفهم معكم .. وأنَّ دعاءَهم إلى الله يسمعه المؤمنون المجاهدون منكم اذا ما أصغوا .))

الرئيس القائد صدام حسين



مُهِمَّةٌ في الظَّلام

كان الظَّلامُ دامساً ، فَقَدِ اختفى القَمَرُ تِلكَ اللَّيلة وَراءَ غُيومٍ داكِنةٍ سُودٍ . لم يَعُدْ (حسّان) يرىٰ طَريقَه .. فَراح يَتَقَدَّمُ بخُطُواتٍ بطيئةٍ في أرضٍ لم تطأْها قَدَماهُ مِنْ قَبْل .. كانَ يَشعُرُ بِحَرَكةِ رِفاقِهِ الذينَ يتبعونَهُ واحِداً إثْرَ الآخر ، إنّهُ يَعرِفُ جَيِّداً إنَّ العَدُوَّ قد زَرَعَ هذه المِنطقةَ بِحقولِ الألغام، لكنّهمْ يَجبُ أنْ يَتَقدَّموا صَوبَ هَدَفِهِم .

كانَ حسّان يقودُ مَجموعةً مِنَ المُقاتِلينَ في مُهِمَّةٍ مُستَعْجَلَةٍ لضربِ مَوقعٍ مُعادٍ ، تسلَّلَ إليهِ أفرادُ العدوِّ، ونَصبوا فيهِ مِدفَعَيْ هاوَن، ومِن ذلِكَ المكانِ راحوا يُطْلِقُونَ قَذائِفَهُمْ على مَواقِعنا .

فجأةً شعر «حسّان» بأرضٍ رَخوةٍ تَحتَ قَدَمِه .. إنّها كومةٌ مِن التُّراب . انحنىٰ ليتلَمَّسَ التُّرابَ بأصابِعِه .. إنّهُ تُرابٌ رَطْبٌ وهذا يَعني حَقلاً جَديداً مِنَ الألغام !

صاحَ حَسّان بلهجةٍ آمِرَةٍ :-

- توقّفوا أيُّها الرِّفاق ، تَراجعوا قَليلاً !

وجاءَ صَوتُ أحدهمْ مُتسائلاً :-

- ماذا هناك يا حسّان ؟ لماذا تأمُرُنا بالتَّراجع وتَظَلُّ أنتَ في مَكانِك ؟

قال حسّان بصوتٍ هادِيء :



- أنا الآنَ في دائرةِ لُغمٍ زَرَعَهُ العَدُوّ ..

لا أدري كم سنتمتراً يبعُدُ عَن قَدمي ، لا يُمكِنُ أنْ أظَلَّ في مَكاني حَتَّى الصَّباح .. والرِّفاقُ ينتظرونَ نَتائجَ عَمليَّتِنا .. لا بُدَّ مِن القضاءِ على ذلكَ الموقعِ المُعادِي .

حَبَسَ الجميعُ أنفاسَهُم . لقد تَمنَّوْا تِلك اللَّحظةَ أنْ يَروا مَلامِحَ البَطَلِ حَسّان وَهوَ يُواجِهُ خَطَراً أكيداً .. إنَّهم لا يستطيعونَ أنْ يفعلوا شيئاً .. لَقدْ مَنَعَهُمْ حَسّان مِنَ التَقَرُّبِ إليه .

قال لهُمْ بصوتٍ واضِحٍ :-

- لا بُدَّ أنْ ٱنفجارَ اللّغمِ سيُنيرُ لَكمُ الطَّريقَ نحوَ الهَدَفِ،وأنا لا أجِدُ وسيلةً أتخلّصُ فيها مِن هذا اللّغمِ اللّعين .. رُبَّما قفزتُ إلى لُغمٍ آخرَ .. في اللّحظةِ التي أتحَرَّك فيها . أنظُروا إلى الطَّريقِ جَيِّداً معَ تَمنّياتي لكمْ بالتَّوفيق .

وسَمِعَ المقاتِلونَ صَوْتَ ٱلانفجارِ الشَّديد ، وهم ينظُرُون إلى الطَّريق الذي أضاءَتْهُ نيرانُ ٱلانفجار .. وعند عودتهم من المُهِمَّةِ حَمَلوا جُثمانَ رفيقِهم الشَّهيدَ حسان ..

ومِثْلَ ٱنفجارِ اللّغم ..

ومِثْلَ الرّاية ..

كانَ يُشير لَهم إلى الطَّريق.

الصَّادق

قالتِ المُعَلِّمَةَ وعيناها تتألَّقان فَرَحاً : سيزورُنا ضُيوفٌ مِن أهلِ مَدينتِنا، لا بُدَّ أنّهم سيُعْجَبونَ بِكُمْ كَثيراً .. أليسَ كَذلِكَ يا تَلاميذَ الصَّفِّ الثّاني ؟ رَدَّدَ التّلاميذُ بصوتٍ واحد : (نعَمْ) .

عِندما دَخلَ الضُّيوف غُرَفَةَ الصَّفِّ آستقبلهمُ التَّلاميذُ، ومُعلِّمَتُهُمْ بالتَّرحابِ ، وأثارتْ أناشيدُ التَّلاميذ الإعجابَ في نُفوسِ الحاضرين ، فَصفَّقوا لَهم بِحرارَة . وقالَ أحد الضُّيوفِ (مَنْ مِنكمْ أبوهُ مُقاتِلٌ في الجبهة ؟)

وَقفَ عَدَدٌ من التّلاميذ .. وبينَهُمْ كانَ (محمود) واقِفاً أيضاً . فآنتبهَتِ المُعلّمَةُ لِذلك ، فهيَ تَعلَمُ جَيّداً بأنْ والدَ (محمود) قد تُوفِّيَ قبلَ سَنتَيْنِ، وتَعجّبتْ أكثرَ حينَ رَأتْ ذلِكَ التّلميذَ يَقِفُ مَرّةً أخرى مَعَ التَّلاميذِ الذين لَهمْ أُخوةٌ في جَبهةِ القِتال . ومحمودُ ليسَ لَهُ أخ .

تَساءلتِ المَعَلِّمةُ في نَفسِها : (لماذا يَتصرَّفُ محمودُ هكَذا ؟ إنّهُ تِلميذٌ ذَكِيٌ ومؤدَّبٌ .. لا يعرِفُ الكَذِبَ أبَداً) .

بعدَ أنْ غادَرَ الضُّيوفُ غُرفةَ الصَّفِّ ، إلتَفَتَتِ المُعلّمةُ قائلةً :

مَحمود .. هَلْ لَكَ أنْ تُخبِرَني عَنِ السَّبَبِ الذي دفَعَكَ لِمثلِ هذا التَّصَرُّف ؟

- فأجابَ مَحمود بِبَراءَةٍ :- أيُّ تَصَرُّفٍ يا سِتّ ؟!

(قالتِ المُعلّمة) :

- إنْ أباكَ - رَحِمَهُ الله - قد تُوفِّيَ قبلَ سَنَتين .. وليسَ لَكَ أخ .. فَلِمَ وَقَفْتَ إذَنْ ؟

أَجابَ مَحمود، وهوَ يَقِفُ بآعتدادٍ كبير :

- ما ذَكَرْتِهِ صَحيحٌ جِداً .. لكنَّني لَمْ أكْذِبْ .. إنَّ الذين يُقاتِلونَ الآن دِفاعاً عَن وطَنِنا هُمْ أهْلي .. آبائي .. وإخواني .. أليسَ كَذلِكَ يا سِتْ ؟

قالتِ المُعلّمَةُ، وهيَ تَحتَضِنُ (محمود) :-

- صَحيحٌ يا بُنيَّ .. وشَعبٌ فيهِ أمثالُكَ لا يَعرِفُ الذّلَّ أبداً ..

وصَفَّقَ الجَميعُ لِمحمودَ على حُسنِ إجابته .





الجائزة

كان صباحاً مُشرِقاً .. سَعَفاتُ النّخيل تتراقصُ مع نسيمِ الصّباح، زقزقةُ الطُّيور تتعالى فوقَ أشجارِ الحقل، وبضعُ حماماتٍ تتقافَزُ أمامَ الباب . قبل قليلٍ نثرَ العمّ (أبو محمد) الحَبَّ لطيورِهِ الملوّنةِ الوديعةِ . إنّه الآنَ يُنظِّفُ ساقيةَ الحَقلِ بمِسْحاتِه . ظَلَّ يُردِّدُ مقاطِعَ مِنْ أغنيةٍ مُفرِحَة ..

إنتبهَ (أبو محمد) لِصَوتِ الجَرّار . كانَ وَلَدُهُ (محمد) قد آعتلى الجرّارَ الزّراعيَّ، وراحَ يَحرُثُ قِسماً مِنْ أرضِ الحَقْل . قالَ العمُّ لِنَفْسِهِ : يالَهُ مِنْ وَلَدٍ طَيّب ! . ما زالَ في الخامِسة عَشْرَةَ مِن عُمرِه، وقد ألمَّ بِكُلِّ أساليبِ الزّراعَةِ وقِيادةِ الجَرّار، وفي المدرسةِ كانَ في طَليعةِ زُملائِه).

عاد العمُّ (أبو محمد) الى تنظيفِ السّاقية وهو يترنّمُ بأُغْنِيَتِهِ المُفضَّلة . كانتْ كلماتُ الأُغنيةِ تَتحدّثُ عَن الأرضِ الطَّيِّبَة، والنّاسِ الطَّيّبين .

فجأةً .. دوّى في الفضاءِ صوتُ آنفجارٍ هائلٌ فَزِعتِ العصافيرُ، وراحتْ تَطيرُ هُنا وهُناكَ ، لمَ يَعُدْ يَسمعُ صوتَ الجَرّارِ ، وشاهدَ العَمُّ ولدَهُ يَهرَعُ إليه . قالَ العمُّ : لا بُدَّ أنَّ جُنودَنا قَدْ أسقطوا طائِرةً مُعادِية .

فأجابَ مُحَمَّد : نَعَمْ يا أبي . لقد سَمِعنا مثلَ هذا الصَّوتِ يومَ أمس .

كانتْ سحابةُ دخانٍ بَيضاءُ مُعلّقةٌ في السَّماء، وعلى مسافةٍ منها رأى العَمُّ سَحابةً داكِنةً، صاحَ بِوَلَدِه : لَقَدْ سَقَطَتْ في مكانٍ قريبٍ مِنّا ، أسرِعْ يا وَلَدِي، إلى البيتِ، وهاتِ البُنْدُقِيَّةَ. كانَ العَمُّ (أبو



مُحَمّد) يُدقِّقُ النَّظرَ فيما حـوله . رُبّما هَبطَ الطَّيّارُ بَينَ أشـجارِ الحَقلِ و (محمد) تأخَّر كثيراً .

أمسكَ العمُّ بمسحاته جيّداً،وكأنّها بُندقية يَحرِصُ عليهـا . كان ينقُلُ خطواتِه بحذرٍ ، عندما التفت الى الوراء،ورأى ولدَه يُسرع نحوه .

قال (محمد) : لم اسـتطعْ يا أبي الدّخـولَ الى البيت ، هنالك جِسمٌ معدنيٌّ،كبيرٌ،مُدبّب،أمام البيت تماماً ، أعتقدُ أنّه صاروخٌ لم ينفجرْ . أجابَ العمُّ بِلَهجةٍ سريعـة : لا عليكَ يا ولدي . قِفْ هناكَ وراءَ الشّجرة،وراقِبِ المكانَ جَيّداً ، وإذا ما شاهدتَ شخصاً غريباً،نادِني بصوتٍ عالٍ،أو أطلِقْ .صفيراً عالياً .)

تَوغَّل (أبو محمد) بين أشجارِ الحَقل . وهناك كان يبحَثُ عن ضالَّته . لم يُصدِّقْ عينيهِ في بادىء الأمر . رُبما كان يتخيّلُ المنظرَ



أمامه ..ولكن لا ..

إنَّ ما يراهُ حقيقةٌ،وليس تخيلاً . ها هو الطيّار الإيراني يُحاولُ التّخلّصَ مِنْ مِظلّته .

تَقدّمَ العمُّ إليه مُسرِعاً،والمِسحاةُ في يدهِ . أمَرَهُ أنْ يظَلّ ساكناً بلا أدنى حَرَكَة ، ثُمَّ طلبَ (أبو محمد) من وَلَدِهِ أنْ يُسرِعَ إليه .

وما هي إلاّ لَحَظاتٌ،حتى كان (محمد) يشدُّ وِثاقَ الطّيّارِ المُعادي، لمْ يسْتعملْ (محمد) حَبلاً بل نزعَ كُوفيّتَهُ،وقيّدَ يَدَي الطيّار ، ثُمَّ ساقاه أمامَهما الى الشارع العام .

وَصلَ الخبر المُفرِحُ إلى مجموعةٍ من مقاتلي الجيش الشّعبي في المِنطقة ، فأوقفوا إحدىٰ السّيّارات،وأقتادوا الطيّار الى أقرب نُقطةٍ عسكريّة . أمّا العَمُّ (أبو محمد) وولدَه الشّجاع،فقد رَكِبا سيّارةً أُخرىٰ،ومعهم بعضُ الفلاّحين . كانوا يُطلِقونَ الأهازيجَ الشّعبيّةَ

وهم في طريقهم إلى ديوان المُحافظة . وهناك ، أثنىٰ الرَّفيق المُحافِظ عليهم،وشَكَرهم على شجاعتِهم وحَذَرِهم . وعندما أرادَ أنْ يُقدِّمَ لهم هديّةً تقديريّةً . (قال العمُّ باسماً : يَكفينا تهنئةٌ ما نشعُرُ به الآنَ من فخرٍ،وعسىٰ أنْ تُتاحَ لنا مِثلُ هذهِ الفرصة مرّةً أخرىٰ .)

وفي اليومِ نفسِه كان بعض الجنودِ يسحبونَ ذلك الصاروخَ إلى مكانٍ بعيدٍ، وحين تَمَّ تَفجيرُه وتَعالى الدُّخانُ ، صَفَّق العمُّ بحرارةٍ واحتضنَ ابنَه .



المُتطوِّع



صَفَّقَتْ (أمُ هاني) بحرارةٍ،وهي تُودِّعُ **المتَطوّعينَ** مِنْ أبناءِ الحيِّ. كانتْ تعرِفُهمْ جميعاً،وتَفَخُر بمَعرفتِها هذه .. ووَدَّتْ معَ نفسِها :

إنّهمْ أبطالٌ ميامينُ،أولئك الذين تَطوّعوا في ألويةِ المُهمّات الخاصّة .



بعــدَ ذلكَ عادتْ (أُم هاني) إلى البيت .. (لا بُدَّ أنْ تُسرِعَ ، فزوجُهــا المريضُ في آنتظارها .. وعليهــا أنْ تُقْـنِعَهُ بتناولِ الدَّواءِ مِثلما تفعلُ كُلَّ يوم .. وقبلَ أنْ تطأ قدماها أرضَ الغُـرفة ، سَـمِعتْ صوتَ زوجها، وهو يبكي بحُرقة .

قالت أُم هاني :

ـ ما بَالُكَ يا أبا هاني ؟! كُن قوياً، ولا تدعَ الآلامَ تهزُّكَ .

رفعَ (أبو هاني) رأسَه، ومَسحَ عينيهِ قائلاً :ـ

ـ لَعَـنَ الله المرض .. أنا لا أبكي بسـببِ الآلامِ، ولكنْ بسـببِ المَرض !

نَظَرتْ زوجتُهُ إليهِ بآستغرابٍ ، وتساءلت :

ـ ما الذي تعنيهِ يا أبا هاني ؟

أجابَ أبوهاني، وهو يَتحسَّسُ بَطنَه :

ـ إنّني أعِرف جَيِّداً أنّك ذهبتِ لتوديعِ المتطوِّعين .. أليسَ كذلك ؟

كانتْ أُمنيتي أنْ أكونَ واحـداً منهـم . لقـد آنتظرتُ مِثلَ هذهِ الفُرصة طويلاً ، لكنَّ المرضَ عاقني .. لهـذا كُنتُ أبكي ! لعـنَ الله المرض . سَكَتَتْ أُمُّ هاني قليلاً، ثُمَّ قالتْ :

ـ البكاءُ لا يُجدي .. إنَّك معـذورٌ بسـببِ حـالَتِكَ الصِّـحِيَّة والجميعُ يعرفونَ مدىٰ حماسِكَ، وإخلاصِكَ لِوطنِكَ، وأُمَّتِك .

فَكَّرَ أبو هاني بما قالتْهُ زوجته ، وفجأةً قفز من مكانه صائحاً :ـ

ـ هناكَ حَـلٌ واحِـدٌ .. هاتي الدَّواءَ يا أمَّ هاني .. لا بُدَّ أنْ أستعيدَ صِحَّتي بأسرعِ وقتٍ مُمكن .. سيكون آلتحاقي ضـمنَ الوجبةِ التالية ..

إبتسمتْ أُمَّ هاني، وهيَ تمدُّ يدَها إليهِ بقنِّينةِ الدَّواء .



المُثلَّث

تَطلّعَ نائب الضّابط (ابو زكي) الى الغُبارِ الكثيفِ،الذي أثارَتهُ الدَّبّابات العراقيّةَ،وهي تتقدّمُ صَوْبَ مُعسكراتِ العَدوّ. كان يتطلّعُ إليها من بعيد. كم كان يتمنّىٰ لو كانَ معَ رِفاقهِ الآن في لحظةِ التّقدُّمِ هذه !.. لكنْ عمَله يقتضي مِنه البقاء هنا في الخطوطِ الخلفيّةِ فهو ـ ومنذ زمنٍ بعيد ـ تخصّصَ في إصلاحِ الدّبّاباتِ، وصيانتها،لهذا أطلقوا على وَحْدتهِ أسمَ (مفرزة الإنقاذ)،وعلى الرُّغمِ مِن دَويِّ القذائف، كان (أبو زكي) يُميّزُ أصواتَ مُحرّكاتِ الدّبّاباتِ،وهي تبتعدُ عنه. لقد قضّىٰ اللّيلةَ البارحةَ يتفحّصُها واحدةً بعد الأخرىٰ، يتلمّس أسلاكها بِرِقّة.. يُشغّلُ أزرارَها جميعاً. حينَ يُنهي فحصه يُربّتُ بِمَودّةٍ على بُرج الدّبّابة،وهو يقول في نفسه ((رَعاكِ الله أيّتُها الفَرَسُ الحديديّة.. وباركَ الله فرسانَكِ الشُّجعان)).

لم يَعُدْ أبو زكي يسمعُ صرير عَجَلاتِ الدّبّاباتِ المُسرِفة. لقد تَقدّمتْ مسافاتٍ أبعدَ. كيف حالُها الآن،لا بُدَّ أنّها تعمل بصورة جيّدة !

إنّه يَتذكّر الآن وجهَ ولده (زكي)،وأُمنيّتهِ كلّما عادَ إلى البيتِ في إجازةٍ قصيرة. عندما يُعانِقُهُ في كُلِّ مرّةٍ، كان (زكي) يُردّدُ أُمنيته ،وهو يهمِسُ فِي أُذُنِ أبيهِ لِكيْ لا تُشارِكَهُ أُختاه أُمنيّته تِلك. إنّه يرغَبُ في الصُّعود فوقَ الدّبّابةِ والدُّخولِ في بُرجها.

كان (أبو زكي) يُجيبُ ابنَهُ هامِساً: (سيكونُ ذلكَ في وقتٍ قريب.. ليس لك وَحْدَكَ.. بل سَتُشارِكُكَ أختاك ذلك : لمَ يَطُلْ

مَكثُهُ كثيراً، فقد آستدعاه أحـد الضُـبّاط لأمرٍ عاجـلٍ . قال الضّابِط : (لقد وصلتْ قطعاتنا إلى مشارف ديزفول . إنّها أخبارٌ مُفرِحة يا أبا زكي ، ودبّاباتُنا تَتَمركَزُ الآن في أماكِنِها المُقـرّرة . ولكن ..

ـ ولكن ماذا يا سيدّي ؟ قال (أبو زكي) بقلق .

تابعَ الضّابطُ حديثه : ولكنْ إحدىٰ دبّاباتنا أُصيبتْ بعَطَلٍ في مِنطقةٍ مكشوفةٍ خطرةٍ قريبةٍ من العَدوّ ، تِلك المِنطقةَ هي مُثلثُ قاعِدَتُه أمامَ العَدوِّ مُباشرةً ، بعد ساعتينِ يُخيّمُ الظّلام، وعليكَ أنْ تُنجِـزَ واجبكَ في أقلّ وقتٍ مُمكن، رَفعَ (ابو زكي) يده بالتحية ، قائلاً : سـيكونُ كُلَّ شيءٍ على ما يُرام، بعـد غروب الشّمسِ بقليلٍ كانَ نائبُ الضـابط يخترق طـريقهُ صَوْبَ الخَـطّ



الأماميّ . كانتْ قذائِفُ العَـدوِّ المذعور تَسـقُطُ قريباً من المُدرَّعةِ التي يقـودها (أبو زكي) بنفسـهِ مَعَ آثنيْنِ من رِفاقِهِ المُقـاتلين . لم يُبالِ بالخطر ، فقد كان هَمُّهُ أنْ يُصلِحَ الدّبّابة، وبأقلّ وقتٍ مُمكن . بعد وصـوله إلى المُثلّث كان عليه أنْ يعرِفَ سـبب تَعَـطُّلِ الدّبّابة، ومكانه . وهذا يحتاجُ الى مِصباحٍ يتفحّصُ به أسـلاكَها وأزرارها . فكيفَ يستطيعُ أنْ يفعَلَ ذلكَ مِنْ دونِ أنْ يُثير آنتباهَ العَدوِّ القـريبِ منه! . وضـعَ (ابو زكي) خيمةً فوق مُحـرّكِ الدّبّابة ؛ لكي يَمنعَ تَسَرُّبَ الضَّـوءِ منهـا ، وآنهـمَكَ في عمليةِ إصـلاحِ الخَللِ مِن دونِ أدنىٰ آهتمامٍ بقصـفِ مَدافعِ العَـدوّ .. عندما آنتهـى (أبو زكي) من واجبهِ رَبّتَ على بُرج الدّبّابةِ وراح يتذكر أُمنية ولده .. وقال هامساً (ستصعَدُها قريباً يا وَلدي) .





المَرْصَد

السماء تتلبّدُ بغُيوم داكنة تُخفي وراءها كُلَّ أثَرٍ للقمر والنجوم. كمْ تمنّىٰ لو تراءتْ له تلك النُّجومُ اللامعة كحبّاتٍ عِقدٍ من اللؤلؤ تناثرت في السماء! أبتسمَ المِغوارُ القنّاصُ (زيدان خليفة) وهو يستعيدُ بعضَ ذكرياته .. عندما كان صغيراً كانَ يظَلُّ يتأملُ السماءَ في لَيالي الصَّيف، ويسألُ أمّه المستلقية بجواره: (كم هو عددُ النُّجوم يا أمّاه؟):

في كلّ مرّةٍ تُجيبُه أمُّه، وهي تُصلح وَضْعَ وِسادته: بامكانك أنْ تَحْسبَها الآنَ!) ..

لكنّه ما إنْ يبدأ بالعَدِّ حتّىٰ يغِطُّ في نومٍ عميق.

وَمَضات البَرقِ تُنذِرُ بهطولِ المطر .. لكنّهم سيُواصلون المُهِمَّة .. هكذا فكّر زيدان مع نفسِه. إنّه يذكُرُ زيارته لأُمّهِ في إجازته القصيرة. لَقدِ أحتضَنتهُ بحنانٍ، وربّتت على كَتِفيْهِ .. لكنّها راحتْ تنظُرُ إلى ذراعِهِ اليمنىٰ مَدهوشةً .. كان يحمِلُ شريطيْنِ فقط، فأصبحَ الآنَ يحمِلُ ثلاثة .. قال لها ليزيدَ فرحَها أكثر: (لقد أسقطتُ طائرة سمتية للعدوّ فكرّمني القائدُ بترفيعي لِرُتبةٍ أعلى .. صار أبنُكِ عريفاً يا أمّاه).

إحتضن زَيدان بنُدقيّته، وتقدّم معَ أفرادِ مجموعتهِ عَبْرَ صخورٍ وَعِرَةٍ. هبّتْ ريحٌ دافئةٌ أعقبَها سُقوطُ المطر.

قالَ أحدُ المقاتلينَ بصوتٍ خفيض: الهدفُ ما زالَ بعيداً ..

والمطر يزدادُ غَزارةً ..

فَهمسَ زيدانُ،ويدُهُ تَتلمّسُ الصُّخورَ المُبلّلة الجرداء : لم تمنَعْنا المرتفعاتُ،ونيرانُ العَدوِّ مِنَ التَّقدُّمِ .. فكيف يمنَعُنَا المطرُ يا رَفيقي ؟!) .

كان الواجبُ هذه المرّة تدميرُ مَرْصدٍ لِدفعيَّةِ العَدوِّ في هذه المِنطَقةِ بقاطعِ كيلان غرب .. لم يكنْ واجباً اعتيادياً ، فالمَرْصدُ يقعُ على قِمَّةِ أحدِ الجبال .. وها هم الآن يتسلّقونَ الصُّخورَ بآتّجاهِهِ تناهتْ إلى مَسامِعِ زَيدان أصواتُ جنودِ العَدُوّ .. كانوا يتبادلون الأحاديثَ بآطمئنان . لم يَخطُرْ ببالهم أبداً أنْ يصِلَ الجنودُ العراقيّونَ إلى هذا المكانِ المُحَصّنِ في يومٍ مِن الأيّام !! فَجأةً آنقضْ زيدانُ ورِفاقُه على المَرْصَدِ المُعادي .. لمْ يستمرْ الاشتباكُ طويلاً ،



فقد صوّبَ سلمانُ،ورِفاقُه نيرانَ بنادقِهم القَنّاصة بمهارةٍ على جنودِ العَدوِّ الذين أرعبتْهم المُفاجأة . بعد القضاء على جنودِ العدوِّ ، إستولتِ المجموعةُ على أجهزةِ المَرْصَدِ ، وأعلنتْ أنَّ المكانَ أصبح مُنذُ اللّحظةِ مَرْصَداً لِدفعيَّتِنا .

ليسَ هذا حَسبْ،بل إنْ أفراد المجموعة أعلنوا أيضاً أنَّ القنّاص (زيدان) أبدىٰ شجاعةً فائقة ..

نظر «زيدان» الى السَّماءِ،وقد آنقطعَ المطرُ،وتلاشتِ الغُيومُ .. كان يتأملُ النُّجومَ اللامعةَ بفرح .. حينذاك آقتربَ منهُ أحدُ رِفاقهِ ينقُلُ إليهِ تهنئةَ آمِرِ الوَحدةِ وتكريمه له بُرتبةٍ أعلى، وللمرّةِ الثّانية .

تلمّسَ زيدان أشرِطَتهُ المُعلّقة على ذِراعه اليُمنىٰ .. تذكَّرَ أُمّهُ وآبتسمَ مِنْ جَديد .



الضُّبّاطُ الثَّلاثَة

كان ذلك في الأيّام الأُولى لدخـــولِ مدينة المُحمَّرة ، حين كانتْ قُواتُنا تُواصلُ تقدّمَها مُطارِدةً فُلولَ العَـدوّ .. والمكان بنايةٌ عاليةٌ في مِنطقةٍ مُتقدّمةٍ. لقد آتّخذَ قائدُ إحدىٰ قطَعاتِنا الباسـلةِ تلكَ البنايةَ، مَقـرّاً لهُ لِيَسْهُلَ عليه الإشرافُ على حـَرَكةِ جنودِهِ ، وهم يُنفِّـذونَ عَمَليةَ الهُجوم. كَذلِكَ يَستطيعَ القائِدُ رُؤيةَ حَرَكةِ قَوّاتِ العَـدُوِّ مِنْ ذلِكَ المَكان.

كانَ تقدُّمُ قُوّاتِنا سَريعـاً ، وسَـطَ شـوارِعَ،وأزِقّةٍ مُهـمَلَة. ما إنْ



أبتعَـدَتْ قُوّاتُنا عَنْ تلكَ البنايةِ كَثيراً،حَتىَ خَـرَجَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ جنودِ العَدُوّ، كانوا مُختبئينَ في البيوتِ القَـرِيبةِ،وآستطاعَ الأعداءُ أنْ يفـرِضوا حِصـاراً على تِلكَ البِنايةِ التيلَمْ يَكُنْ فيهـا ســوىٰ آمر السرية ، وآثنيْن من مُساعديه ، فماذا يفعل الضّباطُ الثلاثة ؟

إقتربَ الآمِرُ مِنْ إحدى النَّوافِذ .. وبعـد لَحْـظَةٍ قَصـيرةٍ قال لِرفيقيه :ـ إنّهم أكثرُ مِنْ عِشرينَ جُنديّاً .. جَميعُـهُمْ مُسـلّحون .. بعضُـهم يحملُ بنادِقَ،والبعضَ الآخَـرُ يَحِملُ قاذِفاتٍ مُجَهَّـزَةً بالصَّواريخ المُضادَّةِ لِلدُّروع .

وفي هذه الأثناء سَمِعَ الثَّلاثة صَـوتَ آنفجـارِ الصَّـواريخِ ، وهيَ تَرتطِمُ بِجُدرانِ البِناية .. ثُمّ سَمِعوا بَعدَها صَوتَ أحدِ الفُـرْسِ،وهو يَصيحُ:إنّنا نُطوِّقُ البِناية تماماً .. لا مجـالَ أمامَكم للخـلاصِ،عليكم أنْ تُسلّموا أنفُسَكم،وإلاّ أحْرَقْنا البِنايةَ بِمَنْ فِيها ..



فقال أحدُ الضُّباطِ الثلاثة بصوتٍ خفيض ..

ـ لن نُسلِّمَ أنفسَنا أبداً .. سنظلُّ نُقاوِمهم حتى النهاية . هزَّ الاثنان الآخران رأسَيهما تأييداً لِرأي رفيقهما .. وعندما يَئِسَ العَدوُّ في مُحاولتِهِ ابتدأ بإطلاقِ الرَّصاصِ،والقذائفِ على البِناية .. إتَّخذَ الضُّباطُ الثَّلاثةُ مَواضِعَهم في الطّابقِ الأوَّلِ مِن المَبنى، وراحوا يُصوِّبونَ نيرانَ بنادقِهم إلى صدورِ الأعداء . عِندما التَفَتَ أحدُ الضُّبّاطِ إلى الخَلفِ، شاهدَ ألسِنةَ النّيرانِ،وهيَ تَندلِعُ في المَبنى،وعِندَ أبوابِ القاعَةِ التي كانوا يَحتمونَ داخِلها ، فصاح الآمرُ قائلاً :ـ أيُّها الرِّفاق .. البقاءُ هنا خَطرٌ علينا .. فالبناية ستحترقُ بكاملِها . لا بُدَّ لنا من عمل شيءٍ ، ليحمِلْ كُلٌّ مِنّا





رُمّانةً يدويّةً،وليقفْ قريباً من نافذة .. وبعد أنْ حملوا الرُّمّاناتِ اليدويّةَ،وتوزّعوا عند النّوافذ، قال الآمر :ـ

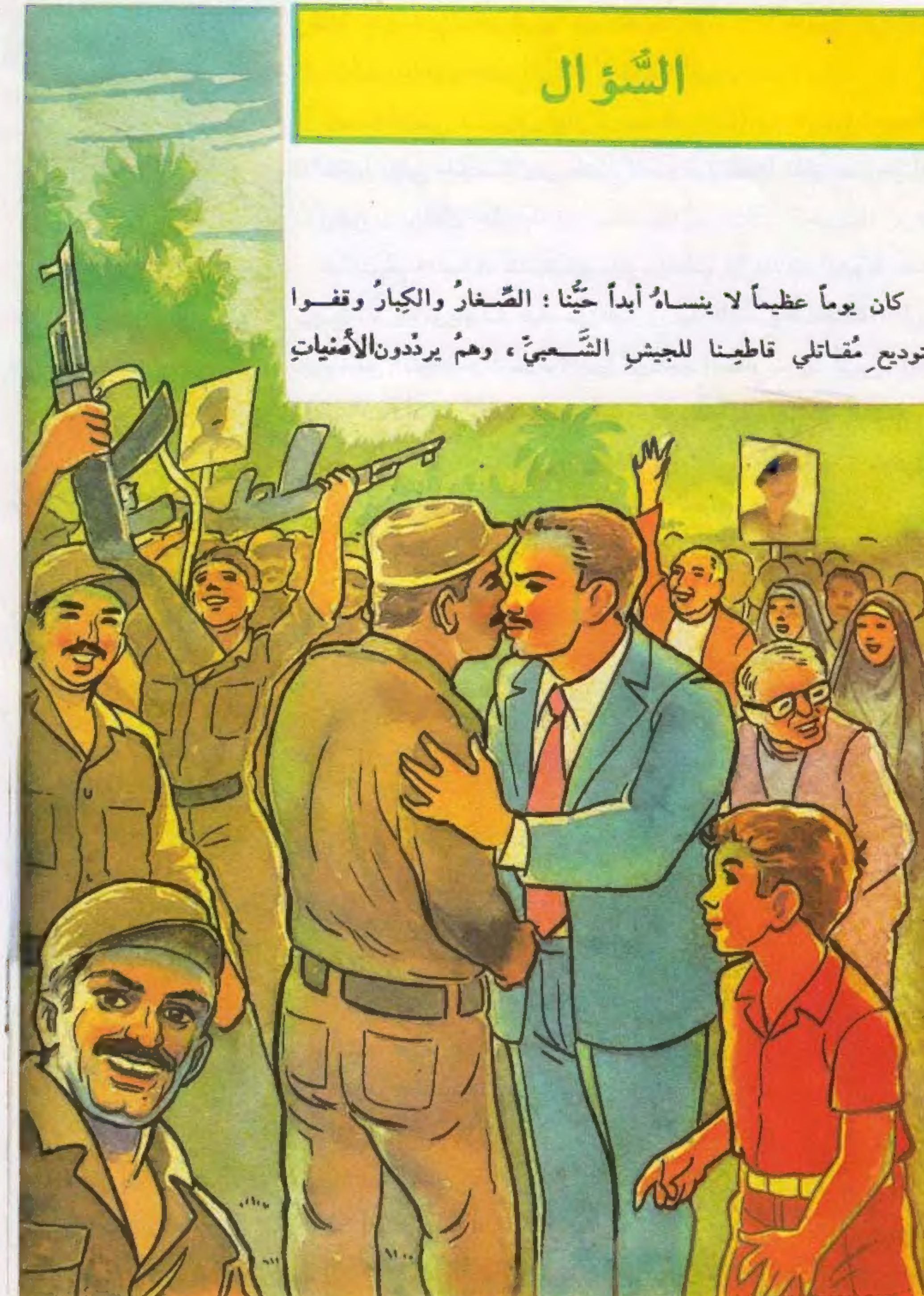
عِندما أُعطي لكم الإيعاز ، يَسْحَبُ كُلّ واحدٍ مِنّا مِسمارَ الأمان،ويُلقي بالرُّمانةِ على جنودِ العدو ، وبعدها نَقفِزُ بِسرعةٍ إلى الأرض .. والآن هيّا بنا !

لَمْ يتوقَّعِ العَدوُّ عمليةً كَهذهِ ، فَقتلتِ الرُّمّاناتُ اليدويّةُ عَدداً منهم،أمّا الباقون،فقد وقعوا أسرى بيد الضُّباطِ الثلاثة،الذين قفزوا مِن النوافذِ،واستولَوْا على أسلحةِ العدو .. إنّ كُلَّ ضابطٍ مِنهم يتذكّرُ هذهِ الحكايةَ دائماً ، وهو يَتطلّعُ إلى وِسامِ الشّجاعةِ الذي يتربّعُ على صَدْرِهِ بِكُلِّ فخرٍ ...





السّؤال



كان يوماً عظيماً لا ينساهُ أبداً حيُّنا ؛ الصِّغارُ والكِبارُ وقفوا لتوديعِ مُقاتلي قاطعِنا للجيشِ الشَّعبيِّ ، وهمُ يردِّدون الأغنياتِ الطّيّبة . كُنتُ أعرِفُ أُولئكَ المُقاتلين،أحفَظُ أسماءَهم،وملامِحَهم جيّداً .. أبي كان حاضراً أيضاً . عانق رِفاقَهُ واحداً بعد الآخر. أنا أيضاً لوّحتُ لهم مُودِّعاً،وهم يصعَدُون السّيّاراتِ لتتّجهَ بهم صَوْبَ المجد . في تلك اللّحظة هَممتُ بطرحِ سؤالٍ على أبي ، لكنّني أحجمتُ عن ذلك لأنّني وَدِدتُ لو حدّثني أبي عما كنتُ أُفكِّر به .

كان ذلك السؤال الذي ظَلَّ يُراودني منذ وصولنا الى مكان التّوديع :

لماذا لم يذهَبْ أبي مع رِفاقهِ الى الجبهة ؟)



لم أعرِفهُ يوماً،مُتردِّداً في تنفيذ واجبٍ يُكلَّفُ به فكيف يَتردَّدُ الآنَ في المشاركةِ بأداءِ واجبٍ مُقدَّس ؟

في البيتِ سألْتُ أُمّي عَن ذلك ، نَظرتْ إليّ قائلةً بألم :ـ

ـ لا يقِلُّ أبوكَ وطنيَّةً وإخلاصاً عن بقيَّةِ رِفاقهِ،أمّا سببُ بقائِه، فلأنّه لا يستطيعُ أنْ يُشارِكَهم ذلكَ الشَّرف الرَّفيع !

لم يكُنِ الجوابُ شافياً لكنّني لمْ أكرِّرِ السُؤالَ ، فَقدْ أسكَتَتْني دَمْعةٌ انحدرَتْ بُبطءٍ على خَدّ أُمّي .. بَقِيَ السُّؤالُ يجولُ في ذهني .

في الأيّام التّاليةِ ، لاحظْتُ بِدهشةٍ أنّ أبي لا يستقرُّ في بيتِنا لحظةً ، حين يعودُ ظهراً مِن عَمَلهِ ، لا يلبَثُ أنْ يُغادرَنا بعد استراحةٍ قصيرة .. ثُم يعودُ مرّةً أُخرىٰ ليخرجَ بعدَها ، ويُكرِّرُ ذلك في المساء، وفي كُلّ مرَّةٍ كنتُ أراه يحمِلُ عُلَباً وأكياساً مُلوَّنة !!

حاولتُ هذه المرَّة أنْ أجِدَ الجوابَ بنفسي .. لكنّي لم أُفلِحْ في ذلكَ،وكانَ عليَّ الإنتظار ..

أخيراً عرفتُ ما حَسِبتُهُ لُغزاً .. وشعرتُ بغصّةٍ كيف فاتتني معرِفةُ ذلك ؟! وإليكم الحِكاية ..

بَعدَ يومٍ من استقبالِنا لِلرِّفاقِ الُمقاتلين ، شاءتِ المصادفةُ أنْ أكونَ بجِوارِ أبي،حين سَمِعْنا طَرقاتٍ على الباب ـ ثم أطلَّ عدد مِنهم،كانوا يحمِلُونَ كِيساً،قال أحدُهم مُخاطِباً أبي :

ـ أيُّها الرفيقُ العزيزُ كيف نُعبِّرُ عَنِ امتنانِنا لكَ،وإعجابنا بك،فإنْ حَالَ المَرضُ بينكَ،وبينَ مُشارَكَتِكَ لنَا في المعركةِ ، أدَّيتَ واجبًا مُهِمّاً آخرَ كنت تزور عوائل المقاتلين ، تتفقّدهم جميعاً وتَصِلُ هداياكَ لِأطفالِنا .

وقال مُقاتِلٌ آخرُ :ـ

نرجو أنْ تتقبَّلَ مِنّا هَديّةَ قاعِدتِنا:مجموعةٌ مِن بقايا أسلحةٍ لمرصدٍ مُعادٍ دمَّرته قُوّاتُنا .. وفي تلك اللَّحظةِ انطلقتُ مُعانِقاً أبي أبكي فَرَحاً وسَعادة ..